دور المرجعية الدينية في النجف (١٩٩٠-٢٠٠٣) في مواجهة التحديات الاجتماعية والسياسية دراسة تاريخية "

م.م. سلام كريم عزيز
Dr.mohammed@uofallujah.edu.iq

جامعة الكوفة / كلية الطب البيطري

الملخص:-

كان للتحولات الكبيرة التي شهدها العراق تأثيراً واضحاً على الأوضاع السياسية والاجتماعية في العراق وقد برز اثرها بدءاً منذ التداعيات التي سببتها حرب الخليج الثانية التي كانت بقيادة الولايات المتحدة الامريكية نتيجة غزو العراق للكويت ومروراً بالحصار الاقتصادي الغاشم، وانتهاءً بالغزو الامريكي للعراق وما سبقه من ازمات داخلية و في خضمّ تلك الظروف الشائكة، تجلى دور المرجعية الدينية في النجف الاشرف بوصفها قوة معنوية وروحية ذات تأثيراً عميق في توجيه و رشاد المجتمع في تلك الفترات الصعبة، من اجل تحقيق وحفظ توازنه في مواجهة الأزمات المتعاقبة، من خلال مبادراتها الحكيمة ومواقفها الإصلاحية التي استندت إلى مبادئ الشريعة الإسلامية وقيم ومبادى العدالة والإنسانية.

وكان ولايزال دور المرجعية مركزي في التصدي للتحديات والازمات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية، حيث عملت على تدعيم روح التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع النجفي، والحد من آثار الفقر والحرمان التي ولدها الحصار الاقتصادي، عبر المساهمات في الحث على المبادرات الخيرية والإنسانية، من خلال توجية أتباعها نحو التمسك بالقيم الدينية كوسيلة للصمود والثبات. أما على المستوى السياسي، فان المرجعية كان لها دورا محوراً لتوجيه الوعي العام، من خلال ما تبتنه من خطب متزناً تهدف الى السلم المجتمعي، ورفض كل انواع الظلم والطغيان، والدفاع عن حقوق المواطنين بشتى الأساليب التي تتوافق مع المصلحة العامة وتحافظ على كيان الأمة.

لذ فقد ركزنا في دراستنا عن دور المرجعية الدينية في النجف خلال هذه الحقبة لما تحمله من أهمية علمية وتاريخية كبيرة، لأنها توضح طبيعة العلاقة السائدة بين الدين من جهة والسياسة في المجتمع العراقي من جهة أخرى ، كما تبين كيف استطاعت المرجعية بوصفها المؤسسة الدينية النجفية القائمة أن تؤدي دوراً توازنيّاً بين متطلبات الواقع الذي كان موجوداً وضغوط السلطة آنذاك(الحزب الحاكم)، وأن تحافظ في ذات الوقت على مكانتها الدينية والاجتماعية رغم ما فرض عليها من قيود ومحددات كالإقامة الجبرية على بعض المراجع تقييد الزيارات والخطب وانتهاء بالتصفية الجسدية لبعض المراجع. لذلك تتجلى أهمية هذه الدراسة في تحليل الشواهد والمواقف التي صاغتها المرجعية في ذلك الوقت وبيان أساليبها في التعاطي مع الأزمات، لفهم دور المرجعية في بناء الوعي العام وتعزيز الهوية الوطنية في واحدة من اصعب الفترات التي مر بها العراق في تاريخة المعاصر.

الكلمات المفتاحية: المرجعية الدينية، الحصار الاقتصادي ، النجف الاشرف، التحديات السياسية

The role of the religious authority in najaf (1990-2003) in confronting social and political challenges

Salam Karim Aziz

University of Kufa /college of veterinary medicine

Abstract:-

The major transformations that Iraq witnessed had a clear impact on the country's political and social conditions. Their effects became evident beginning with the repercussions of the Gulf War—led by the United States following Iraq's invasion of Kuwait—continuing through the harsh economic sanctions, and culminating in the U.S. invasion of Iraq, which was preceded by severe internal crises

Amidst these complex circumstances, the religious authority (Marja'iyya) in Najaf al-Ashraf emerged as a moral and spiritual force with profound influence in guiding and directing society during those difficult periods. Through its wise initiatives and reformist positions, it sought to preserve the community's balance and stability in the face of successive crises, drawing upon the principles of Islamic law and the values of justice and humanity

The Marja'iyya has always played a central role in confronting social, economic, and political challenges. It worked to strengthen the spirit of social solidarity among the people of Najaf and to mitigate the effects of poverty and deprivation caused by the economic blockade. This was achieved through encouraging charitable and humanitarian initiatives, directing its followers to adhere to religious values as a means of endurance and steadfastness At the political level, the Marja'iyya played a pivotal role in shaping public awareness through its measured sermons, which aimed to promote social peace, reject all forms of injustice and tyranny, and defend citizens' rights by all means consistent with the public interest and the preservation of the nation's integrity

Therefore, this study focuses on the role of the religious authority in Najaf during this critical period due to its great historical and scholarly significance. It highlights the nature of the relationship between religion and politics in Iraqi society, and explains how the Marja'iyya, as a religious institution, managed to maintain a balance between the realities of the time and the pressures exerted by the ruling regime. Despite severe restrictions such as house arrest, limitations on sermons and religious visits, and even the physical elimination of some scholars, the Marja'iyya preserved its religious and

The importance of this study lies in analyzing the evidence and positions adopted by the Marja'iyya at that time, and in revealing its methods of dealing with crises, in order to understand its role in building public awareness and strengthening national identity during one of the most difficult periods in Iraq's modern history

Keywords: religious authority ,economic embargo ,al-najaf al-Ashraf ,political challenges

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلب الأول: مكانة الاجتماعية والسياسية للمرجعية الدينية في النجف الاشرف

تعد مدينة النجف الاشرف من المدن العراقية المهمة ، سواء لموقعها الديني لوجود مرقد الامام علي (عليه السلام) ،أم لوجود مقر المرجعية الدينية ،ولنشاطاتها الاقتصادية والزراعيَّة، وعرف النجفيون بتماسكهم الاجتماعي وابتعادهم عن الكثير من العادات العشائريَّة السيئة كالثأر والنهوة والفصلية [١]، إذ عرفت بكونها مدينة مدنية رغم جذور سكانها العشائريَّة ويعتز النجفيون بأصولهم العربية وقيمها الاصيلة ،كالكرم والنخوة وحماية الجار وهي ظاهرة مستمرة في سلوك النجف الاجتماعي ،وعلى الرغم من الهجرات الاجنبية ومحاولتها التأثير عليها لم تجد لها آذاناً صاغيه فيها[٢].

وقد شكل طابعها الديني مؤثراً فاعلاً في بنيتها الاجتماعية ،وفي رسم وتحديد الأطر العامَّة للمواقف الاجتماعية فيها بالشكل الذي جعل ضمير النجف الاشرف يتداخل مع ضمير رجال الدين في كثير من الاحداث الاجتماعية الاقتصادية والسياسية إذ نلخص شخصية الفرد النجفي وطبيعة مجتمع النجف الاشرف، أستمرت ثلاث قيم في تحليل سلوك وأخلاق الفرد والجماعة، هي قيم البداوة والعشيرة وقيم الدين والمذهب، وقيم التحضر والمدنية ،أن اختلاف هذه القيم نتج عنها جوانب سلبية وإيجابية ،فيما يتعلق بالجانب السلبي تعدد مراكز القوى الاجتماعية في المدينة، وتشتت ولاءات السكان والازدواج في القيم والسلوك على الرغم من وحدة المذهب والدين ،اما الجانب الايجابي فحرك الأوضاع الراكدة ،وولد وعياً جديداً دفع بالمجتمع إلى التغيير[٣] .

(١) للمزيد من التفاصيل حول الاعراف العشائرية ، ينظر: دهام محمود الجبوري ، تغير القيم الاجتماعية واثره على التنظيم الاجتماعي في قرية البو طعمة، رسالة ماجستير منشورة ، (جامعة بغداد: كلية الآداب وهيئة الدراسات العليا ،١٩٧٤).

(٢) عبد الستار شنين الجنابي ، النجف الاشرف دراسَّة في طبيعة المجتمع واصول السكان ،((مجلة كلية التربية للبنات العلوم الإنسانية)) (مجلة) ، النجف الاشرف ، العدد ١٠ ، ٢٠١٢ ، ص ١١٨.

(٣) المصدر نفسه ،ص١١٩.

(٤) تصف بلقيس شرارة في مذكراتها لما حصل بعد حرب الخليج الثانية ،فهي تقول:((بدأت شحة المواد الغذائية بعد ستة اشهر من حرب الخليج تنفذ، وأصبح الدينار الذي كانت قيمته ثلاثة دولارات

وفي نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين طرأت على المجتمع العراقي بشكل عام مجموعة من المتغيرات في العادات والتقاليد[١]،التي تختلف عما كانت عليه سابقاً سواء كانت على مستوى الدولة والمؤسسات التي تتكون منها البنية الاجتماعية، وبما أن المجتمع النجفي هو جزء من بنية المجتمع العراقي والذي واجه بعد الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠،الكثير من الصعاب الاجتماعية الاقتصادية والتي تركت أثراً مؤثر في سلوك الفرد والاسرة العراقية كالهجرة والحرمان وقلة الخدمات وغيرها[٢].

مثلت المرجعية[٣] ،الدينية في النجف الاشرف موقعاً دينياً شديد التأثير على مقلديها سواء خارج العراق أم داخله، ولما كانت مدينة النجف الاشرف مقراً للمرجعية الدينية فقد كان تأثيرها مباشراً [٤] ،فيها وعلى هذا الأساس أدت المرجعية الدينية بوصفها جزءاً من النسيج الاجتماعي أثر في الأحداث التي شهدتها النجف الاشرف ،وقدر تعلق الأمر بموضوع بحثنا فقد كان لها أثر فاعل في مسألة التكافل الاجتماعي وتقديم المعونات في تلبية حاجات اليتامى وعوائلهم من خلال توزيع المساعدات المالية والعينية شهرياً ،وتقديم

ضحية الحرب ايضاً لا يساوي شيئاً، وأنعكس الوضع الاقتصادي السيئ على الناس وأصبح الخناق في جميع مرافق الحياة اليومية على الرغم من زيادة المرتبات ،والبطاقة التموينية لا تكفي لنهاية الشهر وتخلى البعض عن ضميرهُ في سبيل لقمة العيش ،وانتشرت الرشوة بين الناس وشملت جميع مرافق الحياة وأطلق عليها صدام حسين((الهدية))،فشملت القضاء والتعليم والتجارة والمصارف والسفر وانقلبت حياة المواطنين إلى حياة هشة غير متماسكة، و أصبح اساتذة الجامعة ومدرسو الثانوية تجابههم مشكلة العوز والفقر وأصبحت الدروس الخصوصية مشروعة و قانونية)) ، ينظر: بلقيس شرارة، هكذا مرت الايام ، (بغداد:دارالمدى،٢٠١٥)،ص٣٣٧.

(١) سليم ابراهيم عويد ،التحولات في بنية المجتمع العراقي (١٩٦٨-٢٠٠٣) رسالة ماجستير،(الجامعة المستنصرية ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ،٢٠٠٦)،ص٣.

(٢) تعني المؤسسة الدينية أو الكيان أو الهيئة العلمية التي تضم عدداً من المجتهدين والعلماء من الأساتذة والطلبة على اختلاف مراحلهم الدينية، وحدد فقهاء الشيعة جملة من المقومات والشروط الواجب توفرها في المرجع منها: البلوغ، العقل ،الايمان الحياة ،الذكورة الاجتهاد، العدالة، طهارة المولد، ينظر: صلاح مهدي الفضلي ،المرجعية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ١٩٠٠-٢٠٠٠،(بغداد: جعفر العصامي للطباعة الفنية الحديثة،٢٠١٠)،ص ٣٨- ٣٩؛محمد كاظم اليزدي، العروة الوثقى،(قم: مطبعة مهر،١٩٩٣)،ص٢٠.

(٤) أرتبط أهالي النجف الاشرف بالمرجعية الدينية ارتباطا وثيقاً سيما في أخذ المشورة والارشاد منها في مختلف القضايا العامة والخاصة.

الرعاية الصحية ،وتأمين تكاليف العلاج والعمليات الجراحية ،وتزويد اليتامى من ذوي الاحتياجات الخاصة بالأجهزة الطبية التي تعينهم على أداء نشاطاتهم اليومية، وتأمين السكن اللائق من خلال ترميم المتضررة منها ،وتقديم ما يحتاجونه من متطلبات العيش، والوقوف على الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية لبعض فئات المجتمع النجف الاشرف ، فضلاً عن هذا كان لها أثر في الاصلاح الاجتماعي من خلال الإرشاد والنصح وتشخيص السلوك السلبي ومعالجته وأبداله بسلوك إيجابي مفيد للمجتمع ككل [١].

المطلب الثاني: مرجعية السيد أبو القاسم الخوئي في النجف الاشرف في تلك الظروف

برز أثر المرجعية الدينية خلال مدة بحثنا وبالخصوص في اثناء الانتفاضة الشعبانية ١٩٩١ عندما لجأ الناس اليها ،وذلك لعدم وجود قياده أداريه وسياسية لها ،للأخذ برأيها وتوجيهاتها ، وتجلى الدور الأبرز للمرجعية

الدينية في هذا المدة ممثلا بمواقف المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي [٢]،وبالفعل فقد وجه السيد الخوئي المشاركين بالانتفاضة الشعبانية[٣]، إلى ضرورة حفظ الامن وصيانة الأموال الخاصة والعامة، فقد ذكر نجل المرجع في هذا المجال السيد عبد المجيد الخوئي[٤]،بعد أن خلت مدينة النجف الاشرف من أي سيطرة حكومية أو أي سيطرة يمكن أن تنظم الأوضاع الحياتية في المدينة، توجه كبار رجال الدين والوجهاء وزعماء العشائر إلى بيت

[١] صلاح مهدي الفضلي ،المصدر السابق،ص٣٨-٤٠.

[٢] السيد أبو القاسم الخوئي:(١٨٩٩-١٩٩٢)، ولد أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي الخوئي في بلدة خوي الأيرانيه١٩ تشرين الثاني١٨٩٩، وفيها تعلم القراءة والكتابة وبعض المعارف الأساسية هاجر، عام١٩١٢ مع عائلته إلى النجف الاشرف ليكمل دراسته الحوزوية فيها، بعد وفاة المرجع السيد محسن الحكيم، انشطرت المرجعية بين محمود الشهرودي ١٩٧٦ وبينه عاش مرحلة حرجه أيام السبعينات وقيام الحرب العراقية الإيرانية ،أعتقل بعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ ثم أطلق سراحه ، توفي في ٨ آب ١٩٩٢ بعد أن دامت مرجعية قرابة ربع قرن ، ينظر: حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط٢ ، (بيروت :العارف للمطبوعات،٢٠١٣)، ص ١٩.

[٣] حدثت (١ اذار ١٩٩١ الى ٥نيسان ١٩٩١)

[٤]السيد عبد المجيد الخوئي:(١٩٦٢-٢٠٠٣) أحد ابناء المرجع السيد أبو القاسم الخوئي ولد في النجف الاشرف عام١٩٦٢ و تلقى تعليماً دينياً في حوزة النجف الاشرف وغادر العراق عام ١٩٩١ليقيم في بريطانيا وتولى مؤسسة السيد الخوئي بالإنابة عن شقيقه السيد محمد تقي الخوئي، ثم أصبح أمين عام المؤسسة بعد اغتيال شقيقه السيد محمد تقي عام١٩٩٤ في العراق ، وكان اول العائدين بعد الاحتلال الأمريكي للنجف عام ٢٠٠٣، قتل في النجف الاشرف في ١٠ نيسان ٢٠٠٣،ينظر:حسن لطيف الزبيدي، المصدر نفسه ،ص٤٠١.

السيد الخوئي وطلبوا منه كونه المرجع الاعلى للشيعة وكشخصية دينية بارزة لا علاقه لها في السياسة للتدخل وانقاذ المدينة[١].

يبدو إن السيد الخوئي غير ميال لإقامه حكم إسلامي في العراق لأنه يتعارض مع مبناه الفقهي، إذ كان لا يؤمن بولاية الفقيه المطلقة لإنها مختصة للنبي (صل الله عليه وآله وسلم) تصديقاً للنبوة وبالإمام المعصوم تثبيتاً للإمامة ، فهو لا يؤمن بالسعة التي يراها انصار الولاية العامة [٢] .

وفي أول بيان صدر منه بعد قيام الانتفاضة الشعبانية ١٩٩١ دعا الناس إلى العمل على استتباب الامن وعدم الاعتداء والاقدام على محاولات الانتقام والقصاص من الذين يعملون في أجهزة الدولة أو لأسباب شخصية، والمحافظة على الاملاك والاموال العامة والخاصة التي هي أملاك تعود للشعب العراقي من مباني وبنوك ومقرات ومؤسسات خدمية و المخازن والمواد الغذائية والمحافظة على النسيج الاجتماعي داخل مدينة النجف

الاشرف وخارجها، وبإيعاز من مكتب السيد الخوئي تشكلت لجان هدفها ادارة الشؤون المحلية للمدينة [٣] ،وتنظيم الحياة العامة فيها[٤].

وصدر بيانه الثاني الذي أعلن فيه عن تشكيل لجنة للإشراف على الامور العامة والشؤون الدينية والاجتماعية من مجموع من العلماء وتكون بأشرافه وضمت هذه اللجنة كلاً من :

[١] عبد الرحيم عبيد العامري، المصدر السابق، ص ١٤٧.

[٥] محمد جواد الجزائري ،السيد أبو القاسم الخوئي رؤاه ومواقفه السياسية،(بيروت: دار الرافدين للطباعة ،٢٠١٧)،ص٨٣.

[٣] تعيد هذه الادارة الذهن إلى العام ١٩١٥ عندما تشكلت في النجف الاشرف ادارة محلية لإدارة شؤونها بنفسها على أثر فراغ النجف الاشرف من الوجود العثماني، وضمت الادارة المدنية من رؤساء المحلات الاربع التي تتكون منها مدينتهم فقام هؤلاء بإعلان الامان، وفتح المخازن والمحافظة على الأسعار السابقة، ورتبوا الجباية والضرائب التي كانت تتقاضاها الحكومة ،ولكنهم خفضوا مقادير بعضها إلى النصف، وغيرها من الخدمات، للمزيد من التفاصيل ينظر: جميل موسى النجار ، النجف الاشرف حوادث ومشاهد ومواقف سياسية ١٥٠٨-١٩١٦، (بيروت : دار الرافدين ،٢٠١٥) ، ص ١١٨-١١٩.

[٤] علي عبد الأمير عجام، امه في منفى ملامح من الثقافة العراقية بين حربين(١٩٩١-٢٠٠٣) ، (بيروت: دار الرافدين ،٢٠٢١) ،ص٥٤٣.

١. السيد محمد السبزواري
٢. السيد محي الدين الغريفي
٣. السيد محمد رضا الخلخالي
٤. السيد عز الدين بحرالعلوم
٥. السيد جعفر بحر العلوم
٦. السيد محمد رضا الخرسان
٧. الشيخ محمد رضا الساعدي
٨. السيد محمد تقي الخوئي
١٠. السيد محمد صالح الخرسان

وبدأ أهالي المدينة بالتعاون مع هذه اللجنة ومساندتها وكان الامل يحدوهم بالخلاص من حكم البعث وزعيمة صدام حسين بعد أن أشارت كل الدلائل إلى نهايته على خلفيه هزيمته في حرب الكويت، ومن الآثار الاجتماعية الاقتصادية المترتبة عليها [١].

ما أن اندلعت الانتفاضة الشعبانية في مدينة النجف الاشرف حتى بدأ التنسيق بارزاً بين المنتفضين واقطاب المؤسسة الدينية وكان للجنة المشكلة أثر في تحشيد الجماهير واحتضانهم، إذ كان بيت السيد الخوئي مقراً لإدارة المدينة، فقد شهد عقد اجتماعات للكادر القيادي للانتفاضة، فضلاً عن هذا تم تشكيل لجان محلية في الاقضية والنواحي لأدارتها إذ وجه السيد الخوئي بتعين تسعة اشخاص من والوجهاء والشخصيات في الكوفة [٢]،لإدارة شؤونها اطلق عليها((لجنة الانتفاضة الإسلامية في مدينه الكوفة)) [٣].

[١] محمد صادق بحر العلوم، النجف الاشرف الأشرف بين المرجعية والسياسة،(بيروت: دار الزهراء،٢٠٠٩)، ص٣٣٩ .
[١٢] بحثت ولم أجد أسماء اللجنة.
[٣] علي صبيح التميمي، الدور السياسي للمؤسسة الدينية في العراق (١٩٩٠-٢٠١٠) ،(عمان :دار المجد للنشر والتوزيع،٢٠١٦)، ص٩٣-٩٥.

واهتمت المرجعية الدينية بالقضية الاجتماعية في مدينة النجف الاشرف بشكل خاص كونها تمثل مركزاً لها والمرآة التي تعكس توجيهات وارشادات ونصائح الحوزة العلمية، ومن الضروري الاشارة إلى المواقف المهمة للخوئي من النزاعات العشائريَّة، فقد حارب الثأر والنهوة وغيرها، كما اهتم بتأسيس المشاريع التي تخدم المجتمع من مدارس دينية، وتكفل برعاية الايتام[١].

وبذلت المرجعية الدينية من خلال لجانها جهوداً حثيثة لاستعادة الأوضاع الطبيعية و تقديم الخدمات، وكذلك تلبية حاجات العوائل من خلال توزيع المساعدات المالية والعينية شهرياً[٢]، وتقديم الرعاية الصحية، وتامين جزء من تكاليف العلاج والعمليات الجراحية في النجف الاشرف، وتجهيز اليتامى من ذوي الاحتياجات الخاصة بالأجهزة الطبية التي تعينهم لإدارة نشاطاتهم اليومية، وبذلت مرجعية السيد الخوئي جهداً في ترميم المساكن المتضررة جراء الاعمال العسكرية في مدينة النجف الاشرف، وتقديم ما يحتاجون أليه من متطلبات العيش الكريم ،وإذكاء الوعي العقائدي بينهم ،والوقوف على أوضاعهم الاجتماعية [٣].ويبدو إن السلطات الحكومية غضت النظر عن هكذا أعمال.

أدت مؤسسة الخوئي في حياته وبعد وفاته أثراً مميزاً في تقديم الخدمات الاجتماعية والدينية، تمثلت تحرير أجوبة الرسائل الشرعيَّة والخدماتيَّة الاجتماعية، ومراجعات الناس، وتقديم المشورة في حل المشاكل العائلية ،وأجراء العقود الشرعية ،ورعاية طلاب ومدرسي حوزة النجف الاشرف ،ومتابعة الازمات والمحن التي تعرض لها ابناء مدينة النجف الاشرف [٤].

(١) انور حميد، دور المرجعية الدينية في حل المشاكل السياسية والاجتماعية السيد أبو القاسم الخوئي نموذجاً ((مركز دراسات الكوفة)) (مجلة) النجف الاشرف، العدد ٦١، ٢٠٢١، ص٤٦٨-٤٦٩.

(٢) قام المرجع السيد أبو القاسم الخوئي في العام ١٩٩١ بأرسال وكيلة في خراسان إلى جنوب إيران ،للأشراف على المساعدات المقدمة إلى العوائل العراقية المشردة في المخيمات بعد احداث آذار ١٩٩١ وقد بلغت قيمة المساعدات المالية والعينية المقدمة من مرجعية الخوئي (١٠٨،٢٢٨،٧٦٠) تومان إيراني ،فضلا عن توزيع مبالغ مالية خاصة للحالات الطبية او الوفاة والولادة ،كما شملت الخدمات الاجتماعية فتح مستشفى بدارة اطباء عراقيين ،وفي عام ١٩٩٢ بلغت قيمة المساعدات النقدية بمبلغ قدرة (٦٧٣١٠٠٠) تومان إيراني،ينظر:محمد جواد الجزائري ،المصدر السابق،ص٨٢.

(٣)ستار جبار هاشم، الدور الوطني والبناء الاجتماعي للمرجعية في بناء الدولة،((مركز دراسات الكوفة)) (مجلة) ،العدد ٦٢، ٢٠٢١،ص ٤٨٩.

(١) للمزيد من التفاصيل حول مؤسسة الخوئي الخيرية واهم مشاريعها ،ينظر: مؤسسة الامام الخوئي

المطلب الثالث : مرجعية السيد محمد صادق الصدر في النجف الاشرف في تلك الظروف

اما أثر السيد محمد صادق الصدر[١]، في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ فقد سارع إلى أصدر بيان يدعو فيه إلى نصرة الانتفاضة ومساعدة الثوار بالمال والسلاح، وانقاذ المجتمع من حالة الخوف، إذ أراد تثقيف المجتمع بحقوقه المشروعة ومظلوميته[٢].

وقد ذكر محمد اليعقوبي[٣]، أن السيد محمد صادق الصدر قام بتشكيل لجنة لقيادة الانتفاضة ويكون هو على رأسها، ويبدو ان الصدر ينظر إلى ما هو أبعد لإدارة المدينة، إذ كان يريد تشكيل نظام إسلامي لأن ذلك من متبناته الفقهية[٤].

وتصدى السيد محمد صادق الصدر بعد الانتفاضة الشعباني إلى المرجعية الدينية، وهو مباح لكل من يجد في نفسه القدرة والقيادة وبلغ مرحلة الاجتهاد وحصل على شهادة بذلك وخلال عمله المرجعي أحدث عدداً من الاصلاحات، إذ اخرجها من طور الدرس الفقهي إلى طور معالجة المشاكل الاجتماعية، وعد هذا تطور نوعي، والتواصل مع الطبقات

الخيرية، ((تقرير موجز حول بعض خدمات ونشاطات فروع ومراكز مؤسسة الامام الخوئي الخيرية ١٩٨٩-٢٠٠١)) ،(تقرير)،لندن .

[١] السيد محمد صادق الصدر:(١٩٤٣-١٩٩٩) مرجع ديني، ولد في ٢٣ آذار ١٩٤٣، بدأ دراسته في الحوزة العلمية عام ١٩٥٤، وفي عام١٩٦٠ دخل كلية الفقه وتخرج منها عام ١٩٦٤، واجيز الاجتهاد عام١٩٧٧ ، اغتيل مساء ١٩ شباط ١٩٩٩ في مدينة النجف الاشرف بواسطة مجموعة مسلحه يعتقد انها تنتمي لجهاز الامن الخاص الذي كان يديره نجل رئيس نظام حزب البعث قصي صدام حسين، ينظر: علاء شنون، نقد الفكر الماركسي عند السيد محمد محمد صادق الصدر،(بيروت: دار القارئ، ٢٠١٩) ،ص١٣.

[٢] عباس جعفر الامامي، الرقابة العامة للمرجعية الدينية في العراق الحديث، (بيروت : العارف للمطبوعات، ٢٠١٤)، ص ٣١٦.

[٣] الشيخ محمد اليعقوبي: مرجع ديني ولد في النجف الاشرف ١٩٦٠، و فيها نشأ حتى عام١٩٦٨ إذ انتقل مع والده إلى بغداد لارتباط الاخير بمسؤوليات اجتماعيَّة ودينيَّة مع السيد مهدي الحكيم، اكمل دراسته الابتدائية والثانوية في بغداد عام ١٩٧٨، ثم التحق بالجامعة وتخرج مهندس عام ١٩٨٢، وفي عام١٩٨٨ التحقق بالحوزة العلمية ، وفي عام ١٩٩٢ بدأ دراسته الدينية في جامعة النجف الاشرف الدينية ، وارتبط بعد ذلك بالسيد محمد صادق الصدر، ينظر: حسن لطيف الزبيدي ، المصدر السابق ،ص٥٦٨ .

[٤] صالح عباس الطائي، الدور السياسي للسيد محمد صادق الصدر في تاريخ العراق المعاصر ١٩٩١-١٩٩٩، ((اهل البيت)) (مجلة)، كربلاء، العدد ٢٠ ،٢٠١٦،ص٤٤١.

الاجتماعية وهذا التواصل استند إلى انفتاح الحوزة على المجتمع ،عبر الفتاوى والخطب واللقاءات مع الناس، والتباحث معهم في شؤون الدين والدنيا[١].

وترك اللقاءات المباشرة مع المجتمع بكل فئاته والسماع لهمومهم ومشاكلهم وقضاياهم الإنسانيَّة أثر في توسيع قاعدته الاجتماعية ،من خلال اعتماده على الوكلاء الذي عينهم الصدر، إذ كان يراهن على المجتمع بتغيير الأوضاع السياسيّة والاجتماعية الموجودة، فقد تمكنت مرجعية السيد الصدر خلال (١٩٩١-١٩٩٩) أحداث كثير من التحولات الاجتماعية في الوسط الشيعي ومنها النجف الاشرف عبر آليات عمله الخدمي الاجتماعي والميداني من خلال انتقاده السلطات الحكومية [٢]، إذ عدها وظيفة شرعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسعى إلى الحفاظ على الحوزة العلمية في النجف الاشرف، إذ كادت الحوزة ان تضعف بعد التهجير[٣]، والإعدام والانتفاضة الشعبانية، فكان السيد الصدر يحاول اعادة الدرس الفقهي، وكما قام بأرسال المبلغين والوكلاء إلى خارج مدينة النجف الاشرف لممارسة مهامهم التبليغية وتلبية حاجات المجتمع وساهم ذلك في ايجاد قاعدة كبيرة من الانصار ومن فئات اجتماعيَّة متنوعة وعلى رأسها الفئات الفقيرة والمهمشة التي وجدت في خطابه أملاً في الخلاص من واقعها البائس[٤].

(١) علي صبيح التميمي، المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٢)، حث السيد الصدر الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف على عدم الركون للصمت ،واطلق التصنيف اما حوزة صامتة او حوزة ناطقة ،إذ رفض المدح والدعاء لرئيس نظام حزب البعث وهاجم المسترزقين بالدين وهاجم كل تسيب اجتماعي في مجالات الخدمَّة العامَّة كالشؤون الصحيَّة والخدميَّة فأنتقد موظفي الدولة المرتشين، وقد جرى ذلك في الخطب العلنية التي القاها من مسجد الكوفة في صلاة الجمعة ،ينظر: فايزالخفاجي، الرصاص السياسي في العراق اشهر الاغتيالات السياسية في العراق(١٩٢١-٢٠٠٣)،(بغداد:دارقناديل،٢٠١٨)،ج٢،ص١٧٠-١٧١ .

(٣)كانت احدى وسائل التهجير القسري التي اعتمدها نظام حزب البعث في العراق اسقاط الجنسية عن لآلاف بتهمة التبعية الإيرانية، للمزيد ينظر: فاضل عبد الزهرة الغراوي، المهجرون والقانون الدولي الانساني،(بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية،٢٠١٣)ص،١٧٧.

(٤) احسان عيدان عبد الكريم السيمري، دور المرجعية الدينية الفاعلة في التطور السياسي والاجتماعي للمجتمع العراقي و بناء شخصية الفرد العراقي: السيد الشهيد محمد صادق الصدر انموذجا بحث منشور في عمال المؤتمر الدولي الثامن عشر الذي أقامه مركز دراسات الكوفة، تحرير عدي جواد الحجار، المرجعية واثرها في بناء الانسان، النجف الاشرف ،٢٠١٩،ص٣٩-٤٠.

وأبدى السيد الصدر اهتماما واضحاً بالقضاياً الاجتماعية ومن ذلك وضعه فقها خاصا للعشائر أطلق عليه السنينة العشائرية [١]، إذ كانت انطلاقته من واقع الشعب و ظروفه النفسية والصحية و أزماته المعاشية، لذا فان نشاطه الفقهي مدة تصدية للقيادة لم يكرر ما هو موجود من معالجات فقهية، بل كان منطلقاً من واقع الحياة وتطورها وحاجاتها والموقف الاسلامي منها [٢] .

وبعد الضعف الذي أصاب نظام حزب البعث في اعقاب عام ١٩٩١عملت الحكومة على استمالة العشائر إذ قامت بإغداق الاموال والمناصب على شيوخها بغية دعم نظامه، فاصبح للعشيرة عدة شيوخ متنافسين على منصب الزعامة العشائرية بغية الحصول على الهبات الحكومية الامر الذي أدى إلى إضعاف البنية الاساسية للعشيرة وجعلها تابعه للسلطة، فجاء أثر السيد الصدر بحركة شملت كل الشرائح الاجتماعية المتعاملة مع الحكومة العراقية ومنها شريحة العشائر، إذ وضع حسابا خاصاً للوسط العشائري والريفي ولم يقتصر على ذلك وانما عمل على اسلمة السانية العشائرية، فقد منح للعشائر صلاحية اعطاء الحقوق الشرعية للفقراء والمعوزين داخل العشيرة، فوجدت حالة من عطاء المرجع للعشيرة، بدل الاخذ منها وبذلك كسب العشائر إلى جانبه فقد تمكن على اعادة التوازن بين الحوزة وبين العشائر إذ حاول سحب الورقة العشائريَّة من يد السلطة[٣].

وحاول استعادة أثر رجال الدين في الشؤون الشرعيَّة التي أخذتها المحاكم الرسمية، وذلك من خلال منافسة جهاز الدولة القضائي بإنشاء المحكمة الشرعية للبت في الخلافات والقضايا ذات الطابع الشرعي[٤].

تفاعل السيد الصدر مع الواقع الاجتماعي فتأثر بهمومه ومشاكله وسعى إلى أصلاحه ولم يترك قضية اجتماعية إلا وتناولها في خطابه حتى مجتمع الغجر الذين حاول

[١] السنينة العشائرية:اتفاق يقضي بعدم تنفيذ أية(سانية) لا تتفق مع أحكام الشريعة الاسلامية ،ويتعهد رئيس العشيرة بعدم الالتزام بها، ما اختلفوا عليه في اطار الحكم الاسلامي يرجعون به إلى المرجع، للمزيد ينظر: صالح ناصر الطائي ،السيد محمد محمد صادق الصدر ودورة الفكري والسياسي في تاريخ العراق المعاصر عام١٩٩٩،(النجف الاشرف: الميزان للمطبوعات،٢٠١٤)،ص٩٩.

[٢] احسان عيدان عبد الكريم السيمري، المصدر السابق،ص٩٥-٩٦.

[٣] صالح ناصر الطائي ،المصدر السابق،ص٩٨- ٩٩.

[٤] عباس جعفر الامامي ،المصدر السابق،ص٣١٧-٣١٨.

هدايتهم خصوصاً عندما اقام صلاة الجمعة التي كانت الباب الذي منه دخل إلى عامَّة المجتمع دون استثناء [١].

وعدت صلاة الجمعة[٢]،من أحدى وسائل التحشيد، لمعالجة قضايا المجتمع وهمومه ومعاناته، كالاحتكار والفقر والثراء الفاحش اللامشروع، لا سيما ان الحصار الاقتصادي قد أوجد فئة أثرت بسرعة على حساب الآخرين مما ولد تناقضات اجتماعيَّة حادة، إذ يعود له الفضل في أحياء هذه العبادة ومحاولة ربطها بالواقع فعالج الكثير من الامور التي تخص حياة المجتمع فقد نهى عن ظاهرة سرقة الادوية من مخافر المستشفيات وبيعها في السوق السوداء أو لأصحاب الصيدليات الأهلية أنداك الذين كانوا يتحججون بأن أجورهم لا تفي بسد متطلبات احتياجاتهم اليومية ،فخاطب شريحة ذوي المهن الطبية بقوله:((استيلاء العاملين في المجال الطبي على الادوية سواء من المذاخر أو من الحصص الموزعة على المستشفيات وغيرها وبيعها بأغلى الأثمان، أن هذه الظاهرة أصبحت ظاهرة محققة في مجتمعنا مع شديد الأسف ودائمة ومبررها الرئيس قلة الراتب هذا صحيح فأن هذه الأعمال منافيه للجانب الإنساني فكثير من المرضى لا يستطيعون شراء الأدوية بأسعار مرتفعة فأن الواجب المحافظة على المصلحة العامة والتقليل من ألم الناس)) [٣].

وقد رأى السيد الصدر انه من بين الأمور الواجب معالجتها من الحوزة العلمية وجود جمع من الجهلة جعلوا من الساحات القريبة من المراقد المقدسة[٤]، ساحة لقذف الناس ومن الظواهر الاجتماعية التي واجهها الاختلاط بين الجنسين في المراقد والأضرحة

---

[١] علي الزيدي ،محمد الصدر بين الولاية العامة وسياسة السلطة، (بيروت: دار الكاتب بالعربي،٢٠١٧) ،ص٥٤٤.

[٥] طالب في الخطبة (٤٣) اطلاق سراح طلاب الحوزة ،و ذكر في الخطبة (٤٥) قائلاً: (الان من اجل استنكار انقطاع الكهرباء تُقرئ الآية خمس مرات (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) ألآن لعودة الكهرباء في كل العراق بأعلى أصواتكم الصلاة على محمد وآل محمد، ينظر: عبدالرحيم العامري، المصدر السابق، ص ١٩٥

[٣] عادل رؤوف ،السيد محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان،(دمشق: المركزي العراقي للأعلام والدراسات ،٢٠٠٥) ،ص١٢٢.

[٤] كان بعض اصحاب محلات بيع الكماليات قرب الصحن الحيدري الشريف ،يعرضون بضاعة فيها صور دعائية لنساء عاريات وهذا لا يليق بالمكان المقدس، ينظر:((الكوثر)) (مجلة) ، النجف الاشرف،العدد٩، ٢٠٠٠،ص٥.

المقدسة وفي جوانب أخرى أنتقد ما يتخذه الناس من أساليب الازعاج والخلاعة في مناسبات الاعراس والسير في الشوارع وقطع الطرق [١].

واكتسبت مرجعيته الدينية شعبية واسعة بالخصوص بين اوساط الطبقات المسحوقة، فقام تدريجياً بتطوير النشاطات الخيرية واستطاع تأسيس شبكة من رجال الدين والشباب من طبقات المجتمع الفقيرة في النجف الاشرف، وكانت الخطوة الجريئة الذي نجح في تطبيقها صلاة الجمعة فأقيمت لأول مرة، التي تتخللها خطب الأوضاع السائدة في المجتمع، فكان مسجد الكوفة ممتلئاً بالمئات من المصلين لصلاة الجمعة بإمامته ولعل من أبرز نشاطاته هي صلاة الجمعة [٢].

انطلق السيد الصدر من مدينة النجف الاشرف لحملته الدينية لنشر افكاره الجديدة ومرجعيته الدينية التي اسماها البعض مرجعية الميدان[٣] ،إذ كان ينطلق من لا دين من دون حسن التعامل مع الآخرين والدعوة إلى التكافل الاجتماعي والاحسان وإلى والتعاون في أوقات المحن والوقوف بوجه الظالم ونصرة المظلوم ودعا مدمنين المشروبات الكحولية إلى الكف عن التعاطي و بصورة تدريجية، وتطلب بناء القاعدة الشعبية قيام الفقيه تنشيط الاتصالات مع الناس وإلى مواكبة همومهم وشؤونهم والعمل بفقه الواقع، فكان نزوله للشارع بهكذا ظروف ومحاولته مواجهة المشاكل غير مألوفٍ لدى المجتمع، كما أن عامل الحصار الاقتصادي مثلت عنصر نجاح للتحرك الصدر أن الظروف القاسية تدفع المجتمع للبحث عن البديل لإنقاذهم [٤].

وكان من نتائج حملاته الدينية الاسهام في أنتشار الحجاب لدى الفتيات فكان له الاثر أن عدداً كبيراً من هؤلاء الفتيات استجبن لدعوته، كما تعاطف الشباب مع طروحاته وخاصة المتعلقة بنشر الفضائل والاخلاق الحسنة ،إذ كانت طقوسها الجديدة من ارتداء الاكفان يعطي قناعه لدى الشباب بالشجاعة في مواجهة الموت والاستعداد له فضلاً عن

[١] عادل فاروق، العمل الاسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية ، (دمشق: المركز العراقي للأعلام والدراسات ،٢٠٠٥) ،ص ٤٩٨.
[٢] كامل سلمان الجبوري، آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني رجل السلام والمقاومة ، (بيروت: مؤسسة المواهب للطباعة والنشر،٢٠٢١) ،ص٢٠١.
[٣] للمزيد من التفاصيل حول مرجعية الميدان، ينظر عادل رؤوف، المصدر السابق.
[٤] علي صبيح التميمي ،المصدر السابق، ص ١٢٦

ذلك طريقة الخطاب الجديد الذي لم يعتاد عليه المجتمع، فقد اخذ الناس يتكلمون في الحلال والحرام في معاملاتهم اليومية [١].

ويبدو انها تشكل حركة اصلاحية تراكمية أتت أكلها في عهد مرجعية السيد محمد صادق الصدر.

وقد اكد على حرمه تقبيل الايدي، قائلا((كل من يتوقع ان تقبل يده فهو خارج من رحمة الله ،وادخل في غضب الله ،فمن الاسباب التي دفعته إلى تحريم تقبيل اليد التكبر والأنانية والشعور برغبة النفس الأمارة بالسوء وهي شكل من اشكال الاستعلاء بالباطل على غير حق)) [٢].

ويبدو أنها وجهة نظر خاصة بالمرجع السيد محمد صادق الصدر.

المطلب الرابع: مرجعية السيد علي السيستاني في النجف الاشرف في تلك الظروف

تصدى السيد علي السيستاني[٣]، للمرجعية الدينية في النجف الاشرف، بعد وفاة عبد الأعلى السبزواري [٤] ،الذي خلف (السيد أبو القاسم الخوئي) لكنه لم يطل بقاؤه في موقع المرجعية الدينية لوفاته وهي مدة معقدة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً فتولى بأرسال الاجازات وتوزيع الحقوق والتدريس على منبرالسيد الخوئي في مسجد الخضراء، بدأ تقليده ينتشر في مدينة النجف الاشرف وخارجها بشكل سريع وكانت الظروف المحيطة

(١) المصدر نفسه ،ص١٢٨-١٢٩.

(٢) صالح ناصر الطائي، المصدر السابق،ص١١٣.

(٣) السيد علي السيستاني :علي بن محمد الباقر بن علي الحسيني السيستاني ولد في عام ١٩٣٠ في مدينه مشهد الإيرانيه،وقد اشتهر بلقب السيستاني، نسبة إلى جده الذي كان يشغل منصب شيخ الاسلام في مدينه سيستان في عهد الشاه حسين الصفوي لعمله في هذه المدينة اطلق عليه السيستاني، وجرى على ابنائه من بعده ،و بعمر التاسع عشر هاجر إلى مدينه قم المقدسة ليحضر هناك دروس كبار المراجع مثل حسين البروجردي في بحث الخارج الاصول، وفي عام ١٩٥٢ سافر إلى مدينة النجف الاشرف ،للمزيد من التفاصيل ينظر: حيدر نزار سيد سلمان، سلطة النص الديني وبناء الدولة السيد السيستاني إنموذجاً،(بيروت:العارف للمطبوعات ،٢٠١٥)،ص١٤.

(٤) عبد الأعلى السبزواري: (١٩١٠- ١٩٩٤) ولد في مدينة سبزوار الإيرانية وأحد المقربين من المرجع أبو القاسم الخوئي، وله عدة مؤلفات في الفقه والتفسير، للمزيد من التفاصيل ينظر: حيدر نزار سيد سلمان ،سلطة النص الديني وبناء الدولة السيد السيستاني إنموذجا،المصدرنفسه،ص٢٨.

بالسيد السيستاني لا تسمح له بالتحرك العلني وذلك لقيام السلطة بفرض حصار أمني على مكتب المرجع وتمنع حركته فأكتفى بالتحرك من خلف الاضواء[١] .

وفرض السيد على السيد السيستاني أن يعيش حياة العزلة والصمت بسبب التضييق الامني على نشاطات مراجع الدين، وبعد حالة الضعف التي أصابت السلطة في تسعينيات القرن العشرين، برز أثر مرجعية السيد السيستاني في الحياة الاقتصادية الاجتماعية، إذ أن التدهور الخطير في الأوضاع الاقتصادية وتدهور مستوى المعيشة ومشكلة الفقر وما رافقه من تداعيات بانتشار ظواهر جديدة من العادات والتقاليد التي تتنافى مع القيم الاجتماعية عامل مهم في أثرها ونشاطها الارشادي [٢].

و قدمت مرجعية السيد السيستاني خدماتها الاجتماعية لآلاف الجياع والفقراء والمحتاجين فضلاً عن المساعدات المالية المستمرة والرواتب الشهرية المنتظمة، فهناك حقوق انسانية أساسية للمتضررين من الحصار الاقتصادي والنازحين من المحافظات الجنوبية في مدينة النجف الاشرف يجري مساعدتهم ماديا لتخفيف المعاناة عنهم، ويتم هذا بإشراف من ذوي الامانة والثقة لأنفاذ المجتمع، فضلاً عن تقديم المساعدات الطبية والعلاج في المستشفيات بمختلف الطرق والاساليب ،فكانت المرجعية تدفع بعض أجور العمليات الجراحية للمرضى بالخفاء عن طريق الثقاة من الاطباء حيث كانت الحكومة تمنع ذلك لأنها كانت تخشى الاحراج أو من توسع قاعدة المرجعية جماهيرياً [٣] .

كانت المساعدات والمعونات التي يقدمها مكتب السيد السيستاني تشمل شرائح اجتماعيًة مختلفة مسها الفقر وتمتد هذه المعونات من المساعدات المالية[٤]، إلى الملابس مروراً بدفع

(١) سليم الجبوري ،السيد السيستاني مرجعية النجف الاشرف مرجعية الانسانية والعيش المشترك، (بيروت: دار الرافدين ،٢٠١٣) ،ص٨٦.

(٢) حيدر نزار السيد سلمان، سلطة النص الديني وبناء الدولة السيد السيستاني إنموذجا، المصدر السابق،ص٣١.

(٣) محمد حسين الصغير، اساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف ، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠١٣) ،ص٣٨٠.

(٤) بعد نيسان عام ٢٠٠٣ وبسبب الظروف المعيشية الصعبة أسهم مكتب المرجع السيد علي السيستاني في إيران بأرسال مساعدات ضخمة إلى العراق لتوزيعها على المحتاجين في محافظات الوسط والجنوب، إذ عبرت قافلة المساعدات الثالثة الحدود العراقية عن طريق مهران وهي تضم ٢٠ شاحنة بوزن ٩٠ طن من المواد الغذائية والملابس والمواد الصحية والادوية قدرت القيمة المالية لهذه المساعدات بنحو نصف مليون دولار امريكي ،ينظر: حيدر نزار سيد سلمان، سلطة النص الديني وبناء الدولة السيد

نفقات العلاج لأشخاص عانوا أمراضاً بحاجة إلى عمليات جراحية، وكذلك شملت المساعدات الانسانية دفع اشتراكات أجور الكهرباء الاهلية، وقد شكلت هذه المعونات حرجاً للحكومة التي وجدت نفسها عاجزة عن الفعل في مواجهة الحصار الاقتصادي فتركت الامور من دون حل، فضلاً عن مساعدة طلبة الدراسات العليا في اكمال دراساتهم[١].

وعلى الرغم من الوضع الاقتصادي المتردي بقيت المرجعية الدينية تقدم المعونات لآلاف الاسر الفقيرة ،فكانت تسمح بتوزيع الحقوق الشرعية على الفقراء[٢]،من دون الرجوع إلى مكاتبها لتسليمها وأن أحد الاغنياء طلب من المرجع الدعاء له قال له:((ادعو لك ما دمت تساعد الفقراء من اجل تخفيف العبء عن كاهل الطبقات الاجتماعية الفقيرة))،كما تم وضع حد لتصرفات بعض وكلاء المرجعية بأموال المسلمين [٣]

فإن السياسة التي قامت بها المرجعية الدينية والاعمال الخيريَّة والاجتماعية، اعادت الثقة والصلة بينها وبين المجتمع وأفرزت بديلاً قادراً على وضع معالجات وحلول، وعلى الرغم من مضايقات نظام حزب البعث فكان السيد السيستاني ومعاونوه من الوكلاء مستمرين في أعمالهم بدقة عالية بعيدة عن الاضواء فكانت تلك الاعمال تسير بصمت وحذر إذ كانت سياسة الصمت التي أتبعتها مرجعية السيد علي السيستاني لها تأثير كبير في الاوساط الاجتماعية والحوزويَّة [٤] .

وكانت مرجعية السيد السيستاني، تقوم برعاية أغلب فئات المجتمع [٥]، من دون تمييز، إذ كان متابعاً للمرضى الراقدين في مستشفيات النجف الاشرف وقد اهتم بالمرضى

السيستاني إنموذجاً، المصدر السابق ،ص٣٢.

(١) حيدر نزار سيد سلمان، سلطة النص الديني وبناء الدولة السيد السيستاني أنموذجا، المصدر السابق ،ص ٣٢.

(٢) في مدينة الكوفة ،احد التجار تبرع بمولدة كهربائية للفقراء ،لتخليصهم من معاناة الكهرباء وانقطاعاتها المستمرة ، ((الكوثر)) (مجلة) ، النجف الاشرف،العدد٩، ٢٠٠٠،ص٥.

(٣) حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق ،ج٨،ص٢٤١.

(٤) حيدر نزار سيد سلمان، سلطة النص الديني وبناء الدولة السيد السيستاني نموذجاً، المصدر السابق، ص٣٢.

(٥) ادت المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف ، بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣،دوراً رئيساً في المحافظة على السلم الاهلي ،وعلى اساس الالتزام بالقانون والعدالة والمساواة واحترام الاخر ،والاعتماد على المشاركة الشعبية في البناء ،وقد حث الناس على المحافظة على الممتلكات العامَّة والخاصَّة ، وعدم السماح التصرف بها ،كما حاربت النعرات الطائفية والعنصرية والثأر العشائري

المصابين بالإمراض المزمنة، خاصة امراض الكلى فأعطاهم الاولوية بالاهتمام، كما قام بترميم المدارس والكليات والمعاهد التي تعرضت للضرر في احداث اذار١٩٩١ [١].

وشهد العقد الاخير من القرن العشرين وبداية الواحد والعشرين احداثاً خطيرة على المرجعية الدينية

وضعت المرجعية العليا والحوزة العلمية في النجف الاشرف امام مسؤوليات[٢]،كبيرة كان لها تأثير بالغ على مستقبل المدرسة النجف الاشرف وعلى المجتمع النجف الاشرف، إذ شهدت اغتيال عدد من المراجع وهجرة اعداد كبيرة من رجال الحوزة العلمية والكفاءات العلمية إلى خارج العراق، وانتشار الالقاب الدينية، كالمجتهد وآية الله والعلامة الكبير وغيرها من الصفات و الالقاب التي لا يستحقها بعض هؤلاء ،واصبح ائمة الجماعة في بعض المساجد بيد المبتدئين وهم أقل معرفة بأوليات المسائل الشرعية ،مما افقد الثقة في نفوس الناس حتى امتنع بعضهم من دفع الحقوق الشرعية لمراجع الدين خوفاً من تسريبها إلى هؤلاء ،وقد استطاعت الحكومة العراقية وضع اقدامها في الحوزة العلمية عن طريق وزارة الاوقاف [٣].

وحتى كادت النجف الاشرف أن تفقد مكانتها كمركز للمدرسة الشيعية بسبب المضايقات والممارسات التي انتهجها نظام حزب البعث وازلامه.

،خاصة بعد احداث ٢٠٠٣ ،وانهيار المؤسسات ،للمزيد من التفاصيل ،ينظر: حامد الخفاف ،النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية ،(بيروت: دار المؤرخ العربي،٢٠٠٧).

[١] حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق ،ج٨،ص٢٤٨-٢٤٩.

[١] ان ما يميز خطاب المرجعية الدينية مساهمتها الفاعلة في صيانة المجتمع ومنع انحداره باتجاه الفوضى والدمار وانتشار القوة المسلحة غير الرسمية التي لحقت في العراق عام ٢٠٠٣، وتنطلق توجيهاتها التي تؤكد ضرورة اعادة الاسلحة التي تم نهبها من مراكز العسكريَّة ان هذه الاسلحة المنهوبة من المراكز الامنيَّة تبقى ملك للدولة ولا يجوز التصرف بها بل لابد من جمعها وحفظها بأشراف نخبة من اهالي المنطقة لتسليمها إلى الجهات صاحبة الاختصاص، فكانت الدعوة إلى تشكيل وحدات مناطقية تأخذ على عاتقها وظيفة تنظيم العلاقة الاجتماعية والتلاحم المجتمعي في ظل حالة الفوضى التي اصابت المؤسسات المنظمة للحياة العامة وهذه ستكون نواة لملء الفراغ ،ثم تقدم الدعوة ثانية لتؤكد احقية الدولة في التصرف بها ،ينظر: حيدر نزار سيد سلمان، سلطة النص الديني وبناء الدولة السيد السيستاني إنموذجاً، المصدر السابق ،ص١٦٠.

[٢] حسن عيسى الحكيم ،المصدر السابق،ج٨،ص٢٣٥.

الخاتمة

توصلنا في ختام دراستنا أن المرجعية الدينية في النجف الاشراف خلال المدة من ١٩٩٠–٢٠٠٣ مثلت ركناً اساسياً ساهم في حماية وتماسك المجتمع العراقي والحفاظ عليه، لاسيما في ظل الأزمات السياسية والاجتماعية المؤثرة التي سببها الحصار الاقتصادي التي شهدها العراق في تلك المدة. حيث كشفت الاحداث التاريخية عدم اقتصار دور المرجعية كسلطة دينية تقليدية، بل كانت مؤسسة ذات تأثير فاعل ومنتج ومؤثر من خلال توجيه الرأي العام، وساهمت في تعزيز ودعم النسيج المجتمعي من الانهيار إزاء ظروف الحصار الاقتصادي والاضطرابات السياسي والامنية التي حدثت آنذاك.

أوضحت الدراسة الدور الهادئ والمتزن الذي لعبته مرجعية السيد أبو القاسم الخوئي ، من خلال تركيز المحافظة بشكل واضح على الكيان الديني والاجتماعي المؤثر لمدينة النجف الاشراف، ودورة الحكيم في النأي عن الانجرار إلى صدام مباشر مع السلطة، وقيامه بنشاطات غير معلنه لقنوات تساهم في التكافل الاجتماعي التي ساعدت كثيراً على تقليل من آثار الحصار الاقتصادي والمعاناة التي يعشيها الشعب في تلك الفترة ، ومن ناحية اخرى، فقط ظهرت مرجعية السيد محمد صادق الصدر خاطبة الجماهير بشكل مباشر من خلال خطب الجمعة، مركزا على تحفيز الوعي الشعبي العام، وتشجيع روح التحدي والمطالبة بالحقوق، مما جعلها محوراً محفزا لحراك اجتماعي وسياسي واضح الاثر، و ملموس في توجيه بوصلة المجتمع النجفي. في حين اتسمت مرجعية السيد علي السيستاني بالحكمة والهدوء، فقد عملت على حماية المجتمع من الفوضى، وحافظت على استقلال المرجعية عن صراعات السلطة، كونها صمام أمان مهم في تهيئة الأرضية لمواجهة مراحل لاحقة من التغيير السياسي في المشهد العراقي المعاصر.

يبرز من خلال الأدوار التي تطرقنا اليها انفاً أن المرجعية الدينية في النجف الاشرف لم تكن تقليدية في دورها بل هي منظومة متكاملة الرؤى والاهداف تساهم في صون الهوية الدينية والاجتماعية للشعب العراقي. كما أثبتت أن قوة المرجعية هي متأتية من وسائل سياسية مادية، بل على العكس من بعدها التاريخي والروحي الراسخ والممتد على طول التاريخ العراقي، ومن الثقة التي يحملها افراد المجتمع لها. لذلك فإن دراسة هذه الفترة تبرز بشكل واضح كيف استطاعت مدينة النجف الاشراف أن تحافظ على موقعها الاستراتيجي كمركز وعي وروحي وحضاري وفكري في تاريخ العراق الحديث.

قائمة المصادر

أولاً: الكتب المطبوعة

١. بلقيس شرارة، هكذا مرت الايام ، (بغداد: دارالمدى،٢٠١٥).

٢. جعفر الشيخ باقر ال محبوبة، ماضي النجف الاشرف وحاضرها،ط٢،(بيروت: دار الأضواء ،١٩٨٦) ،ج١.

٣. جميل موسى النجار ، النجف الاشرف حوادث ومشاهد ومواقف سياسية ١٥٠٨-١٩١٦،(بيروت : دار الرافدين ،٢٠١٥).

٤. حامد الخفاف ،النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية ،(بيروت: دار المؤرخ العربي،٢٠٠٧).

٥. حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط٢ ، (بيروت :العارف للمطبوعات،٢٠١٣).

٦. حيدر نزار سيد سلمان، سلطة النص الديني وبناء الدولة السيد السيستاني أنموذجا، (بيروت: العارف للمطبوعات ،٢٠١٥).

٧. سليم الجبوري ،السيد السيستاني مرجعية النجف الاشرف مرجعية الانسانية والعيش المشترك، (بيروت: دار الرافدين ،٢٠١٣) .

٨. صالح ناصر الطائي ،السيد محمد محمد صادق الصدر ودورة الفكري والسياسي في تاريخ العراق المعاصر عام١٩٩٩،(النجف الاشرف: الميزان للمطبوعات،٢٠١٤).

٩. صلاح مهدي الفضلي ،المرجعية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ١٩٠٠-٢٠٠٠،(بغداد: جعفر العصامي للطباعة الفنية الحديثة،٢٠١٠)؛محمد كاظم اليزدي، العروة الوثقى،(قم: مطبعة مهر،١٩٩٣).

١٠. عادل رؤوف ،السيد محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان،(دمشق: المركزي العراقي للأعلام والدراسات ،٢٠٠٥).

١١. عادل فاروق، العمل الاسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية ، (دمشق: المركز العراقي للأعلام والدراسات ،٢٠٠٥).

١٢. عباس جعفر الامامي، الرقابة العامة للمرجعية الدينية في العراق الحديث،(بيروت : العارف للمطبوعات، ٢٠١٤).

١٣. علاء شنون، نقد الفكر الماركسي عند السيد محمد محمد صادق الصدر،(بيروت: دار القارئ، ٢٠١٩) .

١٤. علي الزيدي ،محمد الصدر بين الولاية العامة وسياسة السلطة، (بيروت: دار الكاتب بالعربي،٢٠١٧) .

١٥. علي صبيح التميمي، الدور السياسي للمؤسسة الدينية في العراق (١٩٩٠-٢٠١٠) ،(عمان :دار المجد للنشر والتوزيع،٢٠١٦).

١٦. علي عبد الأمير عجام، امه في منفى ملامح من الثقافة العراقية بين حربين(١٩٩١-٢٠٠٣) ،(بيروت: دار الرافدين ،٢٠٢١).

١٧. فاضل عبد الزهرة الغراوي، المهجرون والقانون الدولي الانساني،(بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية،٢٠١٣).

١٨. فايز الخفاجي، الرصاص السياسي في العراق اشهر الاغتيالات السياسية في العراق(١٩٢١-٢٠٠٣)، (بغداد:دارقناديل،٢٠١٨)،ج٢.

١٩. كامل سلمان الجبوري، آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني رجل السلام والمقاومة ، (بيروت: مؤسسة المواهب للطباعة والنشر،٢٠٢١).

٢٠. م، النجف الاشرف الأشرف بين المرجعية والسياسة،(بيروت: دار الزهراء،٢٠٠٩).

٢١. محمد جواد الجزائري ،السيد أبو القاسم الخوئي رؤاه ومواقفه السياسية،(بيروت: دار الرافدين للطباعة ،٢٠١٧).

٢٢. محمد حسين الصغير، اساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف،(بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠١٣)

ثانياً: الرسائل والبحوث

١. انور حميد، دور المرجعية الدينية في حل المشاكل السياسية والاجتماعية السيد أبو القاسم الخوئي نموذجاً ((مركز دراسات الكوفة)) (مجلة) النجف الاشرف، العدد ٦١، ٢٠٢١.

٢. انور حميد، دور المرجعية الدينية في حل المشاكل السياسية والاجتماعية السيد أبو القاسم الخوئي نموذجاً ((مركز دراسات الكوفة)) (مجلة) النجف الاشرف، العدد ٦١، ٢٠٢١.

٣. دهام محمود الجبوري ، تغير القيم الاجتماعية واثره على التنظيم الاجتماعي في قرية البو طعمة، رسالة ماجستير منشورة ، (جامعة بغداد: كلية الآداب وهيئة الدراسات العليا ،١٩٧٤).

٤. ستار جبار هاشم، الدور الوطني والبناء الاجتماعي للمرجعية في بناء الدولة،((مركز دراسات الكوفة)) (مجلة) ،العدد ٦٢، ٢٠٢١.

٥. ستار جبار هاشم، الدور الوطني والبناء الاجتماعي للمرجعية في بناء الدولة،((مركز دراسات الكوفة)) (مجلة) ،العدد ٦٢، ٢٠٢١.

٦. سليم ابراهيم عويد التحولات في بنية المجتمع العراقي، رسالة ماجستير،(١٩٦٨-٢٠٠٣)(الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية،٢٠٠٦).

٧. عبد الستار شنين الجنابي ، النجف الاشرف دراسةً في طبيعة المجتمع واصول السكان ،((مجلة كلية التربية للبنات العلوم الإنسانية)) (مجلة) ، النجف الاشرف ، العدد ١٠.

٨. مؤسسة الامام الخوئي الخيرية، ((تقرير موجز حول بعض خدمات ونشاطات فروع ومراكز مؤسسة الامام الخوئي الخيرية ١٩٨٩-٢٠٠١)) ،(تقرير)،لندن .

٩. مؤسسة الامام الخوئي الخيرية، ((تقرير موجز حول بعض خدمات ونشاطات فروع ومراكز مؤسسة الامام الخوئي الخيرية ١٩٨٩-٢٠٠١)) ،(تقرير)،لندن .